مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

رؤيا العالم بين السّلام والتّعصب في الثلاثية الرّوائية لياسمينة خضرا: (سنونوات كابول، الاعتداء، صفّارات بغداد)

THE VISION OF THE WORLD BETWEEN PEACE AND FANATICISM IN YASMINA KHADRA'S NOVEL TRILOGY: THE SWALLOWS OF KABUL, THE ATTACK, THE SIRENS OF BAGHDAD

نادية بوخميس

جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر

nadia.boukhmis@univ-annaba.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/24 تاريخ القبول: 2026/09/25 تاريخ النشر: 2026/09/30

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة رؤيا العالم في ثلاثية ياسمينة خضرا الروائية، باعتبار أن النص الأدبي يفرز رؤيا تتناسب مع رؤيا الجماعة أو الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الكاتب. وقد تطرقنا في بداية البحث إلى الرؤيا السائدة في الثلاثية الروائية، وهي الرؤيا الإنسانية الحضارية، ومن ثم أبرزنا الرؤيا التي تتعارض معها، وهي الرؤيا العدائية، وقد بيّنا كيفية تمظهرهما في الخطاب الفكري للثلاثية، معتمدين على الخطوات الإجرائية التي انتهجها لوسيان غولدمان.

الكلمات المفتاحية:

الرؤيا الإنسانية؛ الرؤيا العدائية؛ تعدد الأصوات؛ رؤيا العالم؛ ياسمينة خضر.

Abstract:

This research seeks to study the worldview in Yasmina Khadra's novel trilogy, considering that the literary text produces a vision that is consistent with the vision of the group or social class to which the writer belongs. At the beginning of the research, we addressed the prevailing vision in the novel trilogy, which is the humanistic, civilized vision, and then we highlighted the vision that conflicts with the first, which is the hostile vision, and we showed how they are manifested in the intellectual discourse of that trilogy, relying on the procedural steps world vision, human vision, hostile vision, Yasmina Khadra, polyphony.

Keywords:

Hostile vision; Human vision; World vision; Yasmina Khadra.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدّمة:

تعتبر رؤيا العالم Vision du Monde ركيزة هامّة من ركائز البنيويّة التكوينيّة، تبنّاها لوسيان غولدمان Lucien Goldman (1913–1970) لتكون وسيطا بين النّص والمجتمع، بعدما نقلها من الفضاء الفلسفيّ والفكريّ –تأثّرا منه بفلسفة هيغل وماركس– إلى فضاء النّقد الأدبيّ. ويعني بها مجموع التّطلعات والأحاسيس والأفكار التي توحّد أعضاء طبقة اجتماعيّة، وتجعلها في تعارض مع الطّبقات الاجتماعيّة الأخرى [1].

ان العمل الأدبيّ في نظر غولدمان ليس نتاجَ مؤلّف فرد، ولكنّه يعبّر عن الوعي الجماعي والقيم الاجتماعيّة لجماعة أو طبقة، والأعمال العظيمة هي التي تعبّر باتّساقها عن رؤية للعالم ووعي جماعة ما [2]. غير أنّ هذا الوعي الذي تعبّر عنه رؤيا العالم، يكون وعيا مثاليّا، وهو أقصى الوعي الممكن. وعليه، يتبيّن أنّ النّص يفرز رؤيا تتطابق مع رؤيا الجماعة أو الزّمرة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها المبدع، الذي ينقل بصورة تخييليّة أقصى ما يصل إليه الوعي الاجتماعيّ من انسجام، فلم يعد الفرد منعزلا عن الجماعة كما لم تعد الجماعة تفرض تصوّراتها على الأفراد، بل أصبح التركيز منصبّا على علاقة وعي كل فرد مع وعي الأفراد الآخرين، والجمع بين الوعيين ينتج لنا المبدع الحقيقيّ[3] الذي ينقل بشكل فنيّ وعي الجماعة، وتصوّراتها عن العالم، في حين تتراجع أيديولوجيته الفنيّة، وهذا لا يعني تغييبه، أو نفي خصوصيته الإبداعيّة، وإنّما تأكيد ارتباطه بالطّبقة الاجتماعيّة التي تعمل على توجيه أفكاره وتصوّراته، وبذلك يصبح النّص الأدبي نتاجا جمعيّا يصوغه فرد نيابة عن الجماعة.

بعد أن حدّدنا طبيعة رؤيا العالم لدى لوسيان غولدمان، يجدر بنا أن نقارب هذه الرؤيا في تجلّياتها في ثلاثية ياسمينة خضرا الروائيّة. وعليه ينبغي التّساؤل: ما هي الرؤيا السّائدة في الثلاثيّة؟ كيف قدّم ياسمينة خضرا هذه الرؤيا؟ ثم كيف تمظهرت هذه الرؤيا في الخطاب الفكري للثّلاثية؟

2. الرؤيا الإنسانيّة– الحضاريّة

يمكن أن نعتبر رؤيا العالم السّائدة في الثلاثيّة بأنها رؤيا إنسانيّة –حضاريّة. وقد برزت هذه الرؤيا إلى الوجود بعدما تأزّمت العلاقات بين الحضارات، وبات من الضروريّ البحث عن مجتمع عالمي جديد يعبّر عن الوجه الإيجابي لهذه العلاقات مبنيّا على أساس التّفاهم والاحترام المتبادل للخصوصيات والاختلاف، فلن يعمّ السّلام في العالم إلا إذا تبنّى المجتمع الدّولي نزعة إنسانية تُلقي بالأحقاد جانبا، وتبشّر بالوئام والسّلام والتسامح بين البشر قاطبة، وتعتمد على مبدأ الحوار لا الصّدام، وتنبذ النّزاعات العرقية والتعصّب المذهبي، وتُقبل على الاعتراف بالقيم المشتركة بين الحضارات المختلفة.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

لم ينفرد ياسمينة خضرا بالدّعوة إلى نبذ الصّراع مع الغرب، بل يشترك معه الكثير من الروائيين العرب الذين اعتبروا أنّ الحوار الحضاري هو السّبيل الأنجع لحماية الذّات القومية من اشتراطات الواقع القاهرة التي يفرضها الآخر الغربي [4] فما يهدّد الوجود العربي هو الهيمنة الغربية بشتّى صورها. وممّا ساهم في عسر الحوار بين الشرق والغرب هو ربط العنف والإرهاب والتّطرف بالإسلام.

اشترط غولدمان أن تعبّر رؤيا العالم عن وعي اجتماعي لفئة اجتماعية معينة، والمبدع هو الذي ينقل هذه الرؤيا ويوصلها إلى مقام الانسجام. وتسهل معرفة الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الكاتب، إذا علمنا أنّ ياسمينة خضرا كان ضابطا في الجيش الجزائري، حارب طويلا ضد الإرهاب، ثم استقرّ في فرنسا بعد تقاعده، وعُيّن مديرا للمركز الثقافي الجزائري في باريس، وظلّ يدافع عن الجيش الوطني الشعبي وينفي عنه كلّ التّهم التي أُلصقت به، والتي تزعم أن الجيش متورط في الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري سنوات العشرية السوداء. وقد ألّف ياسمينة خضرا رواية خداع الكلمات، L'imposture des mots(2002) ، التي دافع فيها عن ماضـــــــــيه العسكري. وقبل ذلك بسنة كان قد ألّف رواية (الكاتب) L'écrivain [5]، وهي سيرة ذاتية كشف فيها عن هويته الحقيقية بعدما كان يعتقد الجميع أنه امرأة، كما تطرّق فيها إلى أهم مراحل حياته بداية بدخوله المدرسة الوطنية لأشبال الثورة (1964) وهو لم يتجاوز التاسعة، مدرسة جعلت منه ضابطا ساميا.

حارب ياسمينة خضرا ضد العنف والإرهاب وسئم الحروب الأهلية والاستعمار، وكان يطمح إلى عالم يسوده الأمن والإخاء. يقول عن نفسه: "لطالما رفضت العنف، واعتبرته سبيلا سخيفا. سبيل الضياع"[6]. كما تحدّث عن أشبال الثورة الذين كانوا بمثابة العائلة التي حُرم منها، تحدّث عن آلامهم وأحلامهم وعن مصيرهم أيضا "كان زملائي يقولون لي إنه في اليوم الذي سوف أكتب فيه Allons Z'enfants عن أطفال المدرسة الوطنية لأشبال الثورة، سيصبح لآلامنا في نهاية المطاف معنى"[7]. هؤلاء الأشبال الذين تحدّث عنهم، قُتل الكثير منهم في العشرية السوداء على الطرقات، أو في الشوارع، أو في الأدغال. ولأنه قضى معهم طفولته وشبابه يهدي إليهم جميعا روايته "الكاتب" حيث يقول: "إلى أشبال الثورة، مع كلّ تعاطفي"[8].

من كلّ ما سبق يتضح وضع الكاتب الاجتماعي (زمرة أشبال الثورة). ويتبيّن انتماؤه الفكري والأيديولوجي من خلال إعجابه الشديد بـــ "شجرة البؤس" و"الأيام" لطه حسين، لقد أدرك عند الاطّلاع عليها أهمية الكتّاب، فهم لم يكونوا عاديّين، بل كانوا أنبياء حسبه، مستشرفين؛ ومنقذي البشرية. لم يكونوا يبحثون عن تفسير للعالم. بل كانوا يجعلونه مفعما بالإنسانية. لذلك كان يودّ أن ينتمي إليهم أكثر من أيّ وقت مضى، لكي يفيد الآخرين، ويصبح منارة تقتحم عتمة الضياع والانحراف [9].

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

تفرّغ ياسمينة خضرا، منذ صغره، لروائع الأدب العالمي، وتأثّر بروايات عدّة، وقد بدأ الكتابة في سنّ مبكّرة، ولاقى من الضيم ما لاقى من طرف رؤسائه، الذين عارضوا بشدّة فكرة تأليفه الكتب. وقد وبّخه مدير مدرسة الأشبال ذات يوم، مذكّرا إياه بأنه ليس في السّوربون، وبأنه جندي. لديه رأس لحمل الخوذة وليس لكتابة إنشاءات عديمة القيمة، فالجيش حسبه ليس في حاجة إلى ناثرين؛ إنّه يحتاج إلى ضباط نزهاء، ويتمتّعون بالذّكاء والكفاءة... [10]. هذه المضايقات جعلته يكتب من خلف قناع، خصوصا بعد تعرّضه للرقابة، ليتفرّغ للكتابة بعد تقاعده، ويحقّق بذلك أغلى أمانيه، وهي أن يصبح كاتبا إنسانيا، همّه الأوّل والأخير هو السّمو بهذا العالم إلى مصاف الإخاء والمحبّة.

ومن ثمّ يمكن اعتبار الرؤيا السّائدة في الثلاثية تعبيرا عن طموحات فئة من المثقفين الإنسانيين (الأدباء والكتّاب خصوصا)، وتجسيدا لمساعيهم إلى الأمن والسّلم الدّوليين. هذه الزمرة الاجتماعية انتمى إليها ياسمينة خضرا بعدما آمن، كغيره من الروائيين العرب، بـــ"أنّ الحضارة لن تكتسب الصفة الإنسانية بصورة نهائية إلا عندما تلغي مبدأ العنف في علاقات الإنسان بالإنسان، والإنسان بالعالم"[11].

بعد تحديد رؤيا العالم، ينبغي تبيان تمظهراتها في الخطاب الفكري، أي البحث عن كيفية تجلّيها في الثلاثية. وعليه ينبغي التّساؤل: كيف قدّم ياسمينة خضرا هذه الرؤيا؟

2. 1. الدّعوة إلى التعايش والحوار الحضاري:

اتّفقت أغلب الروايات العربية على تجريم الاحتلال الصّهيوني، وتحميله مسؤولية العدوان الممارس على فلسطين بدءا بسلبه الأرض، ومرورا بانتهاكه الحرمات الفلسطينية، وممارسته للقتل المجاني، وتشريده للشعب الفلسطيني وتجويعه...، لذلك فهي لا تطرح أيّة دعوة للتعايش، بل على العكس، تُطالب باسترداد ما سُلب، وتحرّض على المقاومة لدحر المحتل الصهيوني الإرهابي.

أما فيما يخصُّ رواية الاعتداء L'attentatفقد سمح ياسمينة خضرا بتعدّد الرؤى وتشابكها، لكي يفسح المجال للقارئ أن يختار الرأي الذي يراه مناسبا. ولعل السَّبب في ذلك يعود إلى أنّ الأديب الذي يخوض في القضايا السياسية "لا يريد أن يقطع برأي محدد–وإنما يقدّم صورة بانورامية لكل خيوط الأزمة؛ ويترك قارئه يختار ما يشاء، لأن هذه هي الطريقة المثلى في الإقناع الفني إزاء قضية سياسية شائكة"[12]

ومن بين الرؤى المتعددة التي تطرحها رواية الاعتداء، تبرز رؤيا البطل/الرَّاوي أمين جعفري الدَّاعية إلى التعايش ونبذ الصّراع، إنها رؤيا تستنكر الإرهاب الصهيوني والفلسطيني معا! يلخّصها قوله: "لا أذكر أنّني شجعت معركة هؤلاء أو ندّدت بمعركة أولئك، فقد وجدتُ موقفهم جميعا غير منطقي ومؤسفا"[13]!! وقد تولّدت لديه هذه الرُّؤيا نتيجة معايشته للمجتمع الإسرائيلي واندماجه فيه بشكل كلّي!! من جهة، وعمله كجرَّاح من جهة ثانية، لأن مهنة الطّب جعلته يقدّس الحياة ويعتبرها من حق جميع النَّاس، وهو يعتقد أنه يمارس أشرف مهنة يمارسها

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

الناس، ولا شيء في الدنيا يجعله يجازف بالفخر الذي تمنحه إيّاه، كما أنه مؤمن بفكرة أن الأرض لله يورثها لمن يشاء ويستردّها متى شاء، وعليه فالبشر مجبرون على الرّضوخ والاستسلام للمشيئة الإلهية. من هذا المنطلق يبرّر البطل موقفه من العنف المستتب ويطرح رؤيته للعالم التي تتوافق مع رؤيا الكاتب. كما يتبنّى هذه الرؤيا من الجانب اليهودي "بنيامين يهودا"، أخو كيم، درّس الفلسفة في جامعة تل أبيب، ثم انضم إلى حركة سلمية تثير لغطا شديدا في القدس. يعتبر بنيامين أنّ كلا الطرفين: الفلسطيني والإسرائيلي قد تماديا في إراقة الدماء، ويستنكر أفعالهما من خلال قوله: "هل المواكب الجنائزية التي تتقاطع من طرف لآخر قد جعلتنا نتقدم نوعا ما؟"[14]

يبيّن هذا الخطاب أن هناك طائفة من اليهود تدعو إلى التعايش، وتنبذ العنف، وتحلم بالتغيير وبمستقبل خال من الحروب. لذا فإن ياسمينة خضرا يسعى إلى تشكيل ثنائية ضدّية ذات محورين: الأوّل سلبي، والآخر إيجابي؛ فالعسكري الإسرائيلي يبدو من خلال الرواية عنصريا، ومعتديا، بينما تظهر الشخصيات اليهودية الأخرى أكثر إنسانية. والكاتب يهدف من وراء ذلك إلى خلق قيم جديدة وإيجابية في الرؤية إلى الآخر اليهودي، تتعالى عن النظرة الأحادية التي ترى أن الآخر كلّه شرّ، وهو بذلك يميّز بين اليهودية باعتبارها دينا سماويا، وبين الصهيونية باعتبارها إيديولوجية سياسية لأن الاستعمار لا يرتبط بأي قومية أو دين، بل هو نظام اقتصادي، سياسي، إضافة إلى أنه سلطة حكم. كما أنّ الصهيونية هي عبارة عن إيديولوجيا سياسية تربط المواطنة بالانتماء الديني، أي أنها تجعل الدين اليهودي معيارا عنصريا يقول بالتفوق اليهودي على البشر كافة. [15].

ويُعدّ كاظم في رواية صفّارات بغداد Les Sirènes de Bagdad من الشخصيات الدّاعية إلى الحوار الحضاري والتّعايش مع الغرب، فهو يرى أن الغرب يرفض الاستماع للشّرق، ويجهل هويته وتقاليده وقيمه، من هنا يكمن سوء الفهم بين الشرق والغرب، ولكي يعمّ التفاهم بين الاثنين يكفي أن يفتح الغرب آذانه ويرهف سمعه لبراءة الشرق وعفويته "لو يستطيع الغرب فهم الموسيقى العربية، لو يستطيع فقط سماعنا ونحن نغنّي، الإحساس بنبضات قلوبنا عبر نغم القيثارة (...) لو يستطيع الاتحاد مع عالمنا، أظن بأنه سيتنازل عن تقنياته المتطورة وأقماره الصناعية وقواه العظيمة، ليتبعنا إلى آخر طرف من فنّنا..."[16].

إنّ ظاهر الخطاب يحمل دعوة صريحة للغرب لسماع الأغاني العربية وفهم معانيها، غير أنّ جوهره يضمّ دعوة هذا الأخير لاكتشاف إنسانية الإنسان الشرقي، ورهافة أحاسيسه وحبّه للحياة، هذا الإنسان الذي يحمل بين جوانحه الكثير من الرّقة والعواطف النبيلة، وبالتالي من المستحيل أن يكون عدوّا للحياة، ومحبّا لزهق أرواح البشر، من غير المعقول أن يكون العنف صفة متأصّلة فيه، ومتجذّرة في أعماقه. وكاظم يدرك جيدا أن الغرب لم يحاول أبدا فهم عقلية الإنسان الشرقي، فهو بعيد عنه كل البعد، وجاهل لمبادئه ولكلّ ما يمتّ إليه بصلة، وهذا الجهل التام به هو ما زاد من وطأة العداوة، وتفاقم العنصرية، والرغبة الدائمة في إركاعه، والسيطرة عليه بالحديد والنار.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

كما تتأكّد الدّعوة إلى الحوار الحضاري من خلال خطاب العريف عمر مع الرّاوي، يحثه فيه على تجنّب القيام بعملية انتحارية انتقاما من الجنود الأمريكيين الذين أهانوا عائلته أمام ناظريه، محاولا إقناعه بأن العالم ليس عدوا لهم، فهناك الكثير من الشعوب التي اعترضت على الحرب الوقائية على العراق، وساروا في مظاهرات حاشدة رفضا لها. كانوا أكثر من المساندين في الوطن العربي. يقول: "كل الأمم ضحية شراهة حفنة من الشركات العالمية. وسيكون شنيعا أن نضع الجميع في سلّة واحدة. إنّ اختطاف الصحفيين واغتيال أعضاء المنظمات غير الحكومية الذين جاؤوا لمساعدتنا، ليس من عاداتنا."[17].

والحقيقة أن الرؤيا الإنسانية التي تقدّمها الرّواية عبر تلك الشخصيات هي رؤيا الكاتب نفسه، لأن ياسمينة خضرا يفرّق بين النظام الدّولي الاستعماري والشعوب الغربية، ولا يعادل بين الاستعمار والإنسان الغربي، فهو يميّز من خلال الخطاب السّابق بين الاستعمار باعتباره نظاما خاضعا لسلطة سياسية معيّنة، وبين الهويّة الغربية، ففي الثقافة الغربية خطاب يعين على التّقدم، وينادي بالحرية والدفاع عن إنسانية الإنسان، ويؤسّس لثقافة كونية تهتم بالحوار وتبادل المعارف، ولا تعتبر الاختلاف في الجنس والهوية أو في الرأي والانتماء سببا للتّعدي على الغير والقمع والتسلّط وإقامة الحروب[18]. كما يضع الخطاب السابق حدودا بين المقاومة والإرهاب، فالمقاومة تقتضي تحديد العدو بدقّة وتتجنّب قتل الأبرياء وتهدف إلى الدّفاع عن الوطن، أما إذا حادت عن هذه القيم النبيلة تحوّلت إلى إرهاب، ونظر العالم إليها نظرة استنكار وتوجّس، وغابت عدالة القضيّة بسبب الفتن الطائفية وغيرها.

كما تؤكّد شخصية الرّوائي محمّد سين ضرورة الحوار الحضاري، ويتضمّن خطابه مع الدّكتور جلال دعوة صريحة لنبذ العنف ومحاربة الإرهاب، كما يرفض حصر الغرب في فئة متعصّبة، ومحبّة للعنف ومهدّدة للسّلام العالمي، ويتجلّى ذلك من خلال استفهامه الاستنكاري: "هل هذا سبب مشروع كي نرجع مصير الأمم إلى غطرسة حفنة من الصليبيين المحاربين؟"[19] ، وموقفه من الغرب يتّفق مع موقف العريف عمر، فكلاهما لا يحبّذ فكرة أنّ الغرب شرّ كلّه، وعلى هذا الأساس ينبغي التفكير في سبل التعايش والتحاور بين الشرق والغرب، وينبغي على الفئة المثقفة ثقافة مزدوجة أن تحمل على عاتقها مسؤولية الرّقي بالمجتمع الإنساني لأنها وحدها القادرة على ذلك، حسب شخصية الرّوائي محمّد سين، الذي يقول للدّكتور جلال :" إنّ الغرب واقع في الشك. بدأت نظرياته التي كان يفرضها كحقائق مطلقة تتبعثر في نسمة الاحتجاجات. عاش طويلا تخادعه أفكاره الوهمية، ها هو يفقد معالمه". [20].

ويعتبر الرّوائي محمّد سين أنّ الفئة المثقفة منبوذة من طرف أهلها ومن طرف الغير، وما عليها إلا أن تتحمّل الأذّى المسلّط عليها، وتتولّى مهمّة حلّ الأزمات: "اليوم، ضمير العالم، هم نحن. أنت وأنا، (...) نحن أقلية طبعا، ولكننا ذوو قيمة. نحن الوحيدين القادرين على تغيير الوضع، أنت وأنا"[21].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

يعدّ الروائي محمّد سين نموذج المثقف الإيجابي الذي يغلّب مصلحة العالم على المصلحة الفردية، لذلك هو يدعو الدّكتور جلال إلى طرح أحقاده جانبا والتّفرغ للدّفاع عن القضايا العادلة "يتعلّق الأمر بمستقبل البشرية. ما قدر خيبات آمالنا أمام التهديد الذي يخيم على العالم؟"[22] ورغم أنّه ضحيّة للعنصرية الفكرية إلا أنّه آثر الدّفاع عن مبادئه، وتجاوز الأحقاد التي من شأنها أن تهدّد السّلم العالمي، وهو يدرك أنّ التباين بين الثقافات هو الذي يجعل التقاءها خصبا، ويخلق شعورا بالقربى بينها؛ فلا يوجد ما يسوّغ اضطهاد ثقافة لثقافة أخرى اليوم سوى مستودع العنصرية [23]. من هذا المنطلق برزت دعاوى تنادي بتقبّل الآخر والاستفادة من خبراته وتجاربه، وتحثّ على التواصل الحضاري. فـــ"لقد أصبح الآخر في عالمنا هذا وفي عصرنا هذا عنصرا مكونا لهوية الذات وشرطا لغناها وتقدّمها إلى درجة يصحّ معها أن يُقال إن رفض الآخر يعادل موت الذات"[24] فمعرفة الآخر ضرورية لتتعرّف الأنا على ذاتها ومقومات هويتها بشكل أفضل، غير أنّه من الضروري أيضا ألا يذوب الأنا في الآخر ويفقد بذلك هويته ومعالمه.

وتبرز الرؤيا الإنسانية–الحضارية في رواية سنونوات كابول Les Hirondelles de Kaboul من خلال الأصوات الدّاعية إلى الحداثة والتمدّن كـــ "نازيح" مثلا، الذي يتوجّه إلى عتيق شوكت بهذا السّؤال: "هل تظن أنّه يمكننا سماع الموسيقى في كابول يوما ما؟"[25]، ثم يردف قائلا: "هل تظنّ أننا نستطيع، يوما أو مساء، إشعال المذياع والاستماع للفرق الموسيقية إلى غاية الإغماء"[26]

يحمل هذا الخطاب شوقا إلى اللّحاق بالرّكب الحضاري والتّمتع بالمدنية، كما يتضمّن أيضا تعريضا بالهمجية والتّعنت والتّعصّب، والتّقوقع داخل التقاليد. إنّه خطاب يوحي بتمزّق الذات بين التراث والحداثة، بين التّمسك بتعاليم الدّين والتّحرّر منها إلى فضاء التّحضّر والعصرنة. فـــ"نازيح" كان مفتيا في كابول منذ عشريتين، وكانت دروسه في صلاة الجمعة تلاقي إقبالا كبيرا، كان يعيش في رفاهية نوعا ما، يقضي أيامه ما بين المسجد والبيت، ويحرص على التّزود بالعلم، إلا أنّه فيما بعد أصبح يقوم بحركات غير عادية حتى ظن الناس أنّه جنّ، ومن ثمّ أصبح يفكّر في الهروب من كابول، تلك المدينة التي تدفن أبناءها وهم أحياء، وتقمع فيهم كلّ رغبة في التّحرر!. وتوق "نازيح" إلى الغناء والموسيقى إنّما يجسّد توقا إلى الحياة والرّفاهية. هذا ما يقرّ به لعتيق في قوله:"إنّ الموسيقى هي النّفَس الحقيقي للحياة. نأكل كي لا نموت جوعا. نغنّي ليدبّ فينا نفَس الحياة "[27]. إنها دعوة واضحة للسّمو بالذات إلى الآفاق الرّحبة حيث تنعم بالسّعادة وتتفاعل مع معطيات العصر وذلك بتقليد الغرب. كما يحمل الخطاب ردّا على التّعصب الدّيني الذي تمارسه الحركات التي تحكم قبضتها على المجتمع الأفغاني وتتفنّن في التّحريم والقمع وكبت الحريات. فالفنّ عندها محرّم لأنّه يتنافى مع تعاليم الشّرع ومع القيم الإسلامية. والدّين والأخلاق هما المرجعية المـُثلى للفنّ "وبذلك ترد الرؤيا الأخلاقية الوعظية الضّيقة كعائق أمام استيعاب تحولات الفن ورهاناته التاريخية"[28]. في مقابل الرؤيا الإنسانية– الحضارية التي تطمح إلى الانفتاح والتواصل مع الغرب.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

خصوصا أنّ الغرب هم من طوّروا الفنّ الإنساني وغالوا في ارتقائه. وتلك الحركات معادية للغرب ورافضة لكلّ ما ينادي به من حضارة وتمدّن، وهي متمسّكة بالتراث الذي تعتبره مقدّسا ولا ينبغي المساس به. كما تتّضح الرؤيا الإنسانية– الحضارية من خلال خطابات "زُنيرة" الدّاعية إلى التّحرّر من أسر التقاليد التي تعيش في محيطها. وهي تستنكر مشاركة زوجها "محسن" في عملية الرّجم:"لا تستطيع أن تفعل شيئا من هذا القبيل، محسن. هذا ليس من طبعك؛ أنت رجل متعلم"[29]. يتّضح من خلال هذا الخطاب أنّ "زُنيرة" تنتمي إلى الطبقة المثقفة الآخذة بأسباب المدنية الغربية، فقد كانت محامية سابقا قبل أن تـــُمنع من ممارسة مهنتها، لذلك فهي لا ترى في هذا السلوك سوى تعبير عن انحطاط قيمة الإنسان وتدنّي مترلته. فخطيئة المرأة الزانية بالنسبة إليها لا تستلزم مثل ذلك العقاب الذي تعتبره جريمة قتل، رغم أنّه مفروض من الله عزّ وجلّ وهو واجب شرعا. وعليه يمكن القول إنّ "زُنيرة" لا ترى في الدّين سوى عائق أمام الحداثة! ولا تعتقد التّقدم إلا في أحضان العلم، ويتّضح ذلك جليا من خلال قولها لزوجها: "أنت رجل متعلم"، فالعلم والتّقدم والفكر الحرّ يناقض مثل تلك الأحكام الدّينية، ولا يرى فيها سوى إقصاء لإنسانية الإنسان وتهميش له!! وكما استهجنت "زنيرة" عملية الرّجم فإنها استنكرت بشدة ارتداء الشادور واعتبرته وسيلة قمع للمرأة وانتهاكا لحريتها وكرامتها! لذلك فهي عند دخولها السجن، بعدما تسبّبت في موت زوجها، قامت بترع الشادور وألقته جانبا، مظهرة شعرها المنسدل على كتفيها، ومُبدية مفاتنها التي أسرت قلب "عتيق شوكت" من الوهلة الأولى التي رآها فيها!!.

يعبّر ياسمينة خضرا من خلال روايته سنونوات كابول Les Hirondelles de Kaboul عن المجتمع الإسلامي بمختلف تناقضاته وإشكالياته، وعن رؤى الفئات المثقفة الدّاعية إلى الحداثة والتي ينتمي إليها الكاتب. فقد برزت دعاوى في عصرنا الحاضر تنادي بالتّحرر من أسر التراث والتقاليد والأحكام الدينية التي تراها صالحة للعصر الذي فرضت فيه وهو عصر صدر الإسلام، أما وقد تغيّر الزمن فلا بدّ من مسايرته والتّماشي مع متطلباته. لذلك فهي ترفض الخطاب الدّيني الذي تعتبره عائقا أمام الإنسان العربي والمسلم الطامح إلى التفاعل مع معطيات العصر. وقد عبّر ياسمينة خضرا عن موقفه من عملية الرّجم على لسان راويه في معرض حديثه عن "زنيرة" و"محسن رمات"، حيث قال:" إنّ حقدها عليه، بسبب هذا التّصرف البدائي، غير العصري، البغيض والأحمق، تصرّف عبثي ولكنّه معبّر عن الأوضاع الأفغانية"[30]. إنّ هذه الصّفات (بدائي، غير عصري، بغيض، أحمق، عبثي) تعبّر بدقّـــة عن رفض الكاتب لمثل هذه السّلوكات التي تتنافى، **في رأيه**، مع متطلبات الحداثة والعصرنة، وتكرّس الجمود والانغلاق. وهو يتّفق، ربّما، مع الرأي القائل أنّه ما على الإنسانية إلا اعتناق قيم جديدة، تقوم على المعرفة الرأسمالية الغربية، وأن تنظر إلى مختلف القيم بنظرة حداثية طالما أنّ الحداثة متبلورة في قيم المجتمع المتحضّر [31].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

وإن كنّا لا نتفق مع هذا الرأي، لأنّه يتنافى مع الرّسالة الإنسانية والحضارية للإسلام، ولأنه يكرّس ضياع هوية الأمّة العربية والإسلامية، وضياع القيم الدّينية والمفاهيم الأخلاقية، و"الأخطر من ذلك أن تُضيّع الأمة وجودها وتغترب عن نفسها فتصبح مهمّشة تسيطر عليها الازدواجية والضبابية وتسحقها الانهزامية"[32]. وإن كان هذا الخوف من ضياع هوية الأمّة لا يمنع من إمكانية الانفتاح على ايجابيات الثقافة الغربية بتشجيع التواصل الذي يساهم في كشف نقاط التخلّف والجمود في بنية الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة. ومن المنطقي كذلك الاتفاق مع الرأي القائل: "من دون الرؤيا الإنسانية يكون المستقبل غابة وحشية"[33]. غير أنّه من غير المعقول التّسليم بيوتوبيات منقذة وصعبة التحقيق في الوقت نفسه، كما ينبغي التمييز بين دعاة السّلام ودعاة الاستسلام- كما يصفهم نبيل سليمان- "حيث تتجلبب دعوة السّلام الذي ليس غير استسلام لإسرائيل، بجلباب الإنساني والحضاري. ولا فرق في ذلك بين الصّارخين بالتّطبيع وبين من يدعون إليه على استحياء أو بدهاء ومكر أكبر"[34]. خصوصا في عصرنا الحالي، إذ راجت شعارات تحرّض على التّبعية والاستكانة والخضوع للغرب من جهة ولإسرائيل من جهة ثانية أو ما يُطلق عليه سلام الإذعان أو السّلام الأمريكي الإسرائيلي.

يمكن القول إنّ الرؤيا السّائدة في الثلاثية هي الرؤيا الإنسانية – الحضارية، التي تتبنّاها الفئة المثقفة والتي ينتمي إليها ياسمينة خضرا ويعبّر بشكل فنّي عن وعيها وتصوّراتها عن العالم. وبما أنّ رؤيا العالم تؤطّر الزمرة الاجتماعية فكريا وتجعلها في تعارض مع الزّمر الأخرى، ينبغي التّطرق إلى الرؤى المعارضة، في الثلاثية، التي تبرز وعيا ممكنا مناقضا للوعي الأول ومتصارعا معه، والتي ترد في معظم الأحيان من منظور الخطاب المضاد. وعليه ينبغي التّساؤل: كيف تجلّت هذه الرؤى في الثلاثية؟

3. الرؤيا العدائية

تستند هذه الرُّؤيا إلى اعتبار الآخر الغربي- الإسرائيلي عدوًّا للأنا العربية -الإسلامية، لذلك وجبت مقاومته، بشتَّى السُّبل المشروعة منها وغير المشروعة (العملية الانتحارية التي قامت بها سهام، وما كان سيقوم به الراوي في صفارات بغداد من إفناء الجنس الأوروبي)، لأنَّ الهدف من المقاومة هو استرداد الحرية والكرامة والشرف، واستعادة الأرض هو الهدف الأسمى لأنها سرُّ الوجود ورمز البقاء. وتتبنَّى هذه الرؤيا، في رواية الاعتداء، الفئة الفلسطينية التي عانت طويلا من ويلات الاعتداءات المدمّرة والمسلّطة عليها من طرف العدو الصهيوني، فمن الطبيعي أن ترفض هذا الآخر المحتل، وأن تستبعد كل إمكانية للتعايش معه، لأنها تعتبر أنَّ الصّراع صراع وجود وليس صراع حدود كما يُشاع. ويتَّضح هذا الأمر من خلال الحوارات المتكررة بين أمين جعفري ورجال المقاومة [35] الذين دافعوا بصدق عن مبادئهم وحرصوا أشدَّ الحرص على إثبات عدالة قضيتهم. وعليه فالعلاقة بين الأنا والآخر لا تكون دائما قائمة على المحبة والتعاون والتعايش والسلام، بل قد تكون علاقة صراع جدلي.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

كما برزت الرؤيا العدائية تجاه الآخر(الغرب) في روايتي صفّارات بغداد Les Sirènes de Bagdad، وسنونوات كابول Les Hirondelles de Kaboul، أو بمعنى أدق رؤيا الإنسان الشرقي للغرب بشقيه الحضاري والعسكري في أكثر من موضع من المدوّنة. ولعلّ أهم أسباب تشكّل هذه الرؤيا العدائية هي:

3. 1 العنصرية الفكرية الغربية:

منذ الصفحات الأولى من رواية صفّارات بغداد Les Sirènes de Bagdad تظهر الرؤيا السوداوية التي يحملها الدكتور جلال عن الغرب، رؤيا المثقف العربي الكاره للغرب، والذي يحكم عليه انطلاقا من معايشته للمجتمع الغربي، فقد درَّس في الجامعات الأوروبية لفترة طويلة، وكان ينتقد الإرهاب الإسلامي، وينبذ الجهاد المسلح، ثمَّ فجأة وجد نفسه في الصفوف الأولى لإمامة الأصولية، بعدما أصيب بخيبة أمل عميقة من طرف زملائه الغربيين، فقد كانوا يغلّبون دوما وضعه كمهاجر عربي حقير على وضعه كمثقف متمكن، ومن ثم أصبح يرافع ضد العنصرية الفكرية الغربية، وعقد صلحا مع الدوائر الإسلاموية. حتى أُعتُقِد أنه جاسوس مزدوج، ثم أعيد له الاعتبار وكلّفه الأصوليون بعمل الدّعاية لهم "وها هو اليوم يجوب البلدان العربية والإسلامية لتسخير موهبته في الخطابة وذكائه الخارق لصالح تعليمات الجهاديين"[36].

بعد هذا التقديم الذي ورد على لسان الراوي، تطالعنا الرواية على الأسباب الحقيقية التي دفعت الدكتور جلال للنقمة على الغرب والسّخط عليه، من خلال الحوار الدائر بين الدكتور جلال وصديقه الروائي "محمد سين"، وتتمثل أهم هذه الأسباب في عدم منحه شعار الأكاديميات الثلاث، الذي يزعم أنه يستحقه وبجدارة، وبذلك انتهت أحلامه–حسب قوله– وانسلخ جلده، وتحوَّل من مناضل من أجل انتصار الاعتدال واستتباب الأمن الدّولي، ومناهض للعنف والإرهاب، إلى ناطق باسم الأصوليين، ومحرّض على التّمرد ضد الغرب. يقول معترفا لمحمد سين: "أنا لا أنتقم؛ أطالب الاعتراف بعبقريتي، بتراهتي، بحقي لأن أكون كبيرا، وجميلا، ومكرسا. "[37].

ترصد الرواية نموذج المثقف العربي الذي تلاشى إيمانه بمعتقداته بين عشيّة وضحاها، وتبنَّى أفكارا أخرى لا يؤمن بها بالضرورة؛ فالدكتور جلال كان عدوا لدودا للأصوليين، ينبذ العنف ويدعو للاعتدال وينادي بالديمقراطية، وهو في الوقت نفسه كان يتملّق الغرب، ويقول لهم ما يحبّون سماعه عن العرب والإسلام في البلاطوهات التلفزيونية التي تحرص على استدعائه عند انفجار قنبلة في مكان ما. يقول مصرّحا: "كانت خطاباتي تتوافق مع ما ينتظره الغربيون. كنت أطيّب خاطرهم. أقول ما يريدون سماعه، ما كان يفترض أن يقولوه بأنفسهم..."[38] وبما أنه لم يحظ بالمكانة التي طالما سعى إليها وظلَّ بنظر الآخر عربيا حقيرا خائنا لأمَّته، فقد انقلبت أفكاره رأسا على عقب، وعاد إلى أهله يجرُّ أذيال الخيبة، وصار ناطقا باسم الأصوليين، ويدعو إلى محاربة الغرب وإركاعه.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

قام ياسمينة خضرا بكشف زيف تفكير الطبقة المثقفة التي فضّلت استهواء الجماهير، وغلّبت مصالحها الخاصة، بعدما خافت على صورتها أن تتضرر جراء أفكارها، هي فئة منغمسة في النرجسية- على حدّ تعبيره- [39]

ينتقد الدكتور جلال الغرب بشدّة، معتبرا إيّاه أنانيا يغلّب مصالحه الخاصة، ولا يتوانى عن تأليب الدول العربية بعضها ضد البعض الآخر، وزرع الفتنة في أوساطها- كما هو حاصل في عصرنا الحالي- ثم تركها تغرق في بحر الخلافات والتناحر، ليقف متفرجا في الأخير مزهوا بنجاح مخطّطاته الجهنمية.

كما يكشف الدّكتور جلال عن زيف الحضارة الغربية التي أغرت المثقّف العربي بشعارات واهية وعبارات مفخّمة تحمل معاني سامية وتبشّر بخلاص البشرية، تُوهم بجنة الخلد على أرض الواقع، وتزعم أن الإنسان قادر على العيش بأمان في منأى عن العنف، بعيدا عن كل ما من شأنه أن يعكّر صفو حياته.

يعتبر الدكتور جلال أن المثقف العربي ضحية لمزاعم الغرب الذي يدّعي الحضارة والديمقراطية في حين يخفي عكس ذلك، حيث يَسقط قناعه جانبا في أغلب الأحيان، فيتبين وجهه البشع وينفضح، وجهٌ ينضح قسوة وكراهية للمسلمين عموما وللعرب على وجه الخصوص. وبما أن المثقف العربي هو مشعل الأمَّة والمُعوَّل عليه، فهو يلاقي من الضَّيم ما يلاقي في الغرب-الذي يدعي التحضُّر- ويُهمَّش من قبل دُعاة السلام، ويُقاسي مرارة التمييز العنصري، والقهر والإذلال. هذا ما يؤكده قول الدكتور جلال للراوي: "كم من عباقرتنا نجحوا؟ أكثرهم مات حنقا. أنا متأكد أنهم لا يزالون يحقدون عليه [الغرب]حتى وهم في قعر قبورهم(...) أبدا، لن يسمح زملاؤهم الغربيون بوصولهم إلى المعرفة. إذ إنَّ العنصرية الحقيقية كانت دوما فكرية."[40]

يفضح هذا الخطاب رغبة الغربيين في الاحتفاظ بموقع الصَّدارة، والتربّع على عرش المعرفة، إنهم يرفضون أن يزاحمهم المثقف العربي أو ينافسهم وذلك خوفا على مكانتهم، من هنا يتفشَّى التمييز العنصري الذي يُلغي المفاهيم النبيلة التي يتشدّق بها (الغرب) دوما كالمساواة والإخاء والعدالة والديمقراطية واحترام خصوصية الآخر...

كما وردت قضية العنصرية الفكرية في رواية الاعتداء، على لسان البطل أمين جعفري في سياق حديثه عن زملائه اليهود، حيث قال: "يتعالون عليَّ، ويعتبرون كل انتصار من انتصاراتي إهانة لمكانتهم"[41]. كان من الصّعب عليهم تقبّل تفوّق طالب عربي، لأنّ النّزعة العنصرية تملأ كيانهم، فبالإضافة إلى اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار!!، يظنون أنفسهم حاملي لواء العلم والمعرفة والتّقدم الحضاري. وقد كان الدّكتور إيلان روس شديد التّعصب والاحتقار للجنس العربي، الشيء الذي جعل أمين يعتقد أنّه عضو في حركة عنصرية، فقد كان يغار من نجاحاته ولا يفوّت فرصة للنيل منه. يقول أمين متحدّثا عن إيلان روس: "يمنع نفسه من نسيان أصولي وأهلي وإن كنّا معا في أغلب الأوقات. على الرّغم من كفاءتي كجرّاح ولياقتي في علاقاتي المهنية والاجتماعية، أظلّ، بنظره العربي الذي لا يعدو عن كونه خادما عربيا، وبدرجة أقلّ، العدو المحتمل"[42].

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

لم تؤثّر العنصرية الفكرية على أمين في بادئ الأمر، غير أنّه قرّر فيما بعد التّخلي عن مهنته، وقد تحامل عليه الجميع بعد العملية التفجيرية التي قامت بها زوجته، إلا أنّه لم يغيّر موقفه ونظرته إلى العالم، بل ظل متمسّكا برؤياه الإنسانية حتى النّهاية. على خلاف الدّكتور جلال الذي تأثّر أيّما تأثر بالتهميش الذي لاقاه من قبل الغرب ممّا جعله يروّج فكرة الصّراع بين المجتمعات، أو ما يطلق عليه:

3. 2 صدام الحضارات:

تصبّ خطابات الدكتور جلال –كما سبق القول – في إطار الدّعوة إلى معاداة الغرب، وقطع الصّلة به نهائيا، طالما أن هذا الأخير لا يفكر إلا في مصلحته، ولا يحبّ إلا نفسه، وهو يهيمن على الجميع، ويؤلّب بعضهم ضد البعض الآخر حتى يحكم سيطرته. يقول: "لا شيء يمكن أن ننتظره من الغرب. وسينتهي الأمر بمفكرينا إلى إدراك هذه البداهة"[43]. وبما أن الغرب يعلن رفضه صراحة لكلّ ما هو عربيّ، إسلاميّ فلا بدَّ من إعلان القطيعة معه كليًّا "لم يعد التعايش ممكنا. إنهم لا يحبوننا، ونحن لم نعد نحتمل غطرستهم. على كلّ واحد منا أن يعيش في معسكره، مديرا ظهره كليّا للآخر". [44] تدعو خطابات الدكتور جلال صراحة إلى الانفصال الكلّي بين الأنا والآخر، وتوسيع الهوَّة بين الشرق والغرب، إنها خطابات ذات نظرة أحادية لا ترى في الآخر غير الجانب المظلم، وهي تتوافق مع الرأي القائل أنّ الغرب هم الصّليبيون المشركون، لذلك حلّت محاربته حتى آخر الأزمان، أما من الناحية الثقافية فيشيع فيه الانحلال الخلقي والتفلُّت وكل ما هو غير مضبوط بضابط [45]

إنّ دعوة الدّكتور جلال إلى إقصاء الآخر ورفض التعايش معه وإعلان العداوة، كلها شعارات "عادت تكتسح الساحة السياسية والثقافية، هناك في (الغرب) تحت لواء العنصرية، وهنا في (الشرق) تحت لواء الأصولية". [46]. وهذه الشعارات التي تقوم على نفي الآخر من شأنها أن تصيّر العالم إلى حلبة مصارعة، يأكل القوي فيها الضّعيف، وقد يؤدّي هذا الصّراع المدمّر إلى إفناء البشرية، خصوصا أنّ عصرنا الحالي هو عصر الأسلحة الفتّاكة التي من شأنها أن تقضي على المعمورة قاطبة. وقد شاعت هذه الشعارات في وقت كان من المفروض أن يعمل المجتمع الدّولي على التفكير في الصالح العام للبشرية. وبغض النظر عن هذه الدّعوات المغرضة، وبالعودة إلى طبيعة العلاقة بين العالم الغربي المتمثّل في الولايات المتّحدة وأوروبا ومنطقة الشرق الأوسط الكبير، كما يحلو للغرب أن يسمّيها، فإنّها علاقة تقوم على التّضاد، نظرا لاختلاف أسس الثقافة الغربية عن الثقافة العربية–الإسلامية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك غايات وأهداف تسعى الدّول الغربية إلى تحقيقها في منطقة الشرق الأوسط، غير أنّ طرق تحقيقها تختلف، حيث تزعم رزان جدعان، أنّ الولايات المتّحدة ومثلها أوروبا تريان ضرورة نشر الديمقراطية والتحديث في الشرق الأوسط، إلا أنّ أمريكا ترى أنّ تطبيقها لا يتمّ إلا بالقوّة العسكرية التي تعمل على تغيير أنظمة الحكم وفرض الثقافة الغربية، يدفعها إلى ذلك إيمانها بالفلسفة الهيغلية التي ترى أنّ التضاد ضروري ومساعد على الارتقاء نحو الكمال والمطلق. في حين ترى أوروبا أنّ القوّة غير ضرورية لذلك وإنّما

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

السّبيل الأنجع هو تهيئة المناخ الملائم لنمو الدّيمقراطية من الدّاخل- وإن كان هذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر خصوصا بعد اشتراك بريطانيا في الحرب على العراق-كما تدعو أوروبا إلى نزع فتيل الحركات المتطرفة والتي تطلق عليها مصطلح "الإرهاب الإسلامي" لتعمّ الديمقراطية، لأنّ هذه الحركات، في رأيها، تشكّل عائقا كبيرا أمام تحقيق هذه الأخيرة [47].

كما تؤكّد رزان جدعان أنّ بنية الثقافة العربية تشترك مع الغرب في إيمانها بوجود الجدلية الضّدية بين الثقافات، إلا أنّ الثقافة العربية تنظر إلى التّضاد من زاوية خاصّة، فهي تتكئ على الفكر العربي- الإسلامي الذي يرتكز على المعايير الأخلاقية والوحي، والثقافة الغربية متعارضة مع الوحي، فهي ترى أنّ الأخلاق تتأسّس على المعرفة، في حين ترى الثقافة العربية- الإسلامية أنّ المعرفة تتأسّس على الأخلاق. ومن هنا نشأ تعارض نظرتي العالم "الغربي" و"العربي-الإسلامي" إلى الإنسان ودوره في الوجود، وكذا تعارض المصالح والطموحات والتّوجهات [48].

وقد ركّز ياسمينة خضرا في ثلاثيته على نمط تفكير الفئة العربية-الإسلامية، المثقفة منها خصوصا، وأوضح رؤيتها إلى العالم وموقفها من الأوضاع الدّولية الحاليّة والعلاقة التي ينبغي أن تسود بين الحضارات. ففي حين يرى أمين جعفري أنّ العالم فقد وجهته وسقط في مستنقع العداءات والتناحر والظّلامية، ودعا إلى الصّحوة ونبذ النّزاعات، حثّ الدّكتور جلال على الصّراع ورفع لواء العداء للغرب المسيحي الكافر والمتجبّر. وهو يؤكّد على فكرة الصّراع بين الحضارة العربيّة والحضارة الغربية من خلال قوله لصديقه الرّوائي محمّد سين: "نحن في صميم صدام الحضارات. ينبـــغي عليك اختيار معسكرك"[49]. وفكرة الصّدام بين الحضارات مستمدّة من الفكر الغربي وبالتّحديد من طرف المفكّر الأمريكي صموئيل هنتنغتون* Huntington الذي يمجّد الحضارة الغربية ويعتبر تفوّقها ناجما عن طبيعتها العرقية، ويدعو إلى الإطاحة بالحضارات المغايرة، والعمل على إفنائها، كما يدَّعي أن الصّراع لا بدَّ قائم بين الغرب-كحضارة مهيمنة- والشرق-كحضارة عربية إسلامية محاصرة وهو لا يؤمن مطلقا بمبدأ التحاور وتبادل الثقافات، كما يعزي هنتنغتون ظهور الأصولية الى العولمة والتّحولات العالمية "بحيث يتمثّل ردّ الفعل هذا في نزعة ثقافية جذورها عقائدية دينية. ظهرت هذه النّزعة في "الغرب" على شكل مسيحية صليبية جديدة وأصولية إسلامية في "الشّرق"[50]. وبذلك اختلق هنتنغتون ضدّا جديدا للكيان الغربي أطلق عليه اسم الأصولية الإسلامية، وحذّر من الإسلام الذي يتكاثف سكانيا ممّا يهدّد استقرار الحضارات الأخرى. كما أنّه يحاول أن يضفي الشرعية على التّسلط الأمريكي على البشرية وينبذ الحوار لأنّه ينعكس سلبا على الهيمنة والمصالح الغربية الأمريكية [51]. وإن كان هنتنغتون يؤمن بتفوّق الغرب وحداثته فإنّ الدّكتور جلال، في الرواية، ينفي عنه الحداثة ويعتبره غنيا لا غير "الغرب ليس حداثيا؛ إنّه ثري."البرابرة" ليسوا همجيين، إنهم فقراء، ولا يملكون وسائل حداثتهم"[52]

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

كما يدعو الدّكتور جلال إلى القطيعة التّامة بين الشّرق والغرب، ويحرّض على كسر شوكة الغرب، والتصدي له، وتحطيم غروره وغطرسته للحدّ من نبذه للإنسان العربي والحطّ من قدره. كما يدعو إلى التّمرد والمواجهة. يقول: "انتهت أسطورة الخوذة الاستعمارية. نملك وسائل ثورتنا المسلّحة"[53] وبذلك فقط تنتفي جدلية "السّيد والعبد" كما يسميها هيغل. هو رفض مطلق لاستلاب الشرق من طرف غريمه الغرب الذي فرض هيمنته وتسلُّطه عليه لفترة طويلة من الزمن، وبما أن التعايش لم يعد ممكنا لا بدّ من إعلان القطيعة. ولا يكتفي الدكتور جلال برفض الآخر، بل يدعو إلى تصويب ضربات متواصلة عقابا له على غطرسته. يقول: "لهذا من الضروري أن يعرفوا أن الجبن ليس من شيمنا، ولكنها أعمالهم الشريرة"[54].

وجدت هذه الخطابات قابلية لدى البطل وتجاوبا كبيرا، وهذا يدلّ على أنّ الخطاب الأصولي يجد دائما آذانا صاغية وقلوبا ممتلئة غيضا وحقدا تنتظر الوقت المناسب لتنفجر، على أن تفجّر العالم معها. ويتفق خطاب الدكتور جلال مع خطاب "السَّيد" قائد الأصوليين، في الرواية، والمحرّض الأول على العنف، يُقال إنه خالط مدرسة "بيشاور" في عهد الطالبان، وكان له تأثير كبير على شباب "كفْر كرم" حيث فرض هيبته على الصغار والكبار. التقى طريقه مع طريق البطل في بغداد، وشحنه ضد الغرب الغازي، بأن وضع في حوزته أشرطة فيديو كثيرة تصوّر تجاوزات قوات التحالف في العراق، وأكّد له ضرورة التّصدي للغرب، في قوله: "انطلقت في شوارعنا أكبر مبارزة عبر جميع العصور، صدام العمالقة..."[55] إنه خطاب يوافق ما ذهب إليه الدكتور جلال من ضرورة المواجهة، ويؤكد على فكرة الصّدام الحضاري التي تبنَّتها الحركة الأصولية وعملت على ترسيخها في الأذهان، وكان لهذا الخطاب قدرة عجيبة على التأثير في المتلقـــين، لأنه يستغل الظروف الآنيّـــة ليجعلها في صالحه، فـــ"السَّيد" سعى جاهدا لحمل البطل على الغضب والتمرد ومن ثمَّ تدمير الكون، مستعينا في تمرير خطابه بتذكيره بالأوضاع المزرية التي آلت إليها بغداد من مجازر الإخوة الأعداء. لم يحرّضه على المقاومة المشروعة التي تتخذ العسكري الأجنبي هدفا، بل حقنه بفيروس ثوري وطالبه بالذهاب إلى الأماكن العمومية، الميترو، محطات المسافرين، الملاعب، والمساحات الكبرى في لندن كي يعدي أكبر عدد ممكن من الناس " أنت ملاذنا الأخير، آخر رصاصة تعيد لنا شرفنا. إذا نجحت، ستعيد عقارب السّاعة إلى أماكنها، وسيصفّر المنبّه أخيرا من أجلنا". [56] ثم يقوم بتحفيزه أكثر، حتى لا يتراجع عن موقفه، ويبيّن له أن مهمته هي مهمة نبيلة. يقول: "يجب أن تعرف ماذا تعني تضحيتك بالنسبة لشعبك ولجميع الشعوب المضطهدة على وجه الأرض. أنت نهاية الهيمنة الامبريالية، قاهر أثرياء العالم، خلاص البشرية..."[57] كلّ هذه الخطابات تصبّ في خانة العداء للغرب الاستعماري، والمستعبد للشعوب العربية الإسلامية، والمتغطرس، مدّعي الحداثة والدّيمقراطية. وإن كانت الخطابات السّابقة تقوم بحشد الهمم للنيل من الغرب، فإنّ خطابات "الملاّ" في رواية سنونوات كابول تعلن قرب انتصار الإسلام وانتشاره في ربوع المعمورة، وفي المقابل تبشّر بانهيار الغرب: "اضمحلّ الغرب، ولم يعد موجودا. فشل نموذجه الذي اقترحه

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

للبلهاء. ما هو هذا النّموذج؟ ماذا يعني بالضبط بألفاظ مثل التّحرّر والحداثة؟"[58]. يطعن خطاب الملاّ في مصداقية الدّعوات الغربية التي يراها قائمة على مفاهيم فضفاضة وهلامية. كما يدلّ الخطاب على التعصّب في عقلية المتطرف. وهي عقلية تمقت الغرب بوجه عام، لأنه في نظرها يشكّل خطرا على العرب والمسلمين. والجماعة المتطرفة تسعى إلى استبدال التحديث المدني –الذي يقوم على العدل الاجتماعي والمساواة بين الأفراد ويدعو إلى الحرية الفكرية والسياسية التي تنبني على التسليم بحق الاختلاف والتعددية واحترام الآخر– بالأصولية التي تكفّر الآخر سواء كان أجنبيا أم محليا وتقوم باستبعاده ونفيه. والغرب بالنسبة للأصوليين يمثّل "كل ما هو قبيح وبلاء في العالم. وهكذا فإنّ دورهم هو التطهير وأن يقوموا بالعمل نيابة عن الله"[59]. كما يتّفق خطاب الملاّ مع خطابات سابقيه في حصر دائرة الصّراع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، وكذا التّعريض بالتّفسخ والانحلال الأخلاقي الذي يسود الدّول الكافرة.

إذا كانت الرؤيا السّائدة في الثّلاثية هي الرؤيا الإنسانية – الحضارية، الطّامحة إلى التّفاعل المثمر الخلاّق بين المجتمعات الإنسانية، والرّافضة لمبدأ التناقض المطلق. فإنّ الكاتب يفسح المجال لرؤى أخرى متعدّدة ومتناقضة، ويعود السّبب في ذلك إلى أنّ النص الروائي إذا ما هيمنت عليه رؤيا معينة، فإنه يفسح المجال لكي تتسلل إليه رؤى أخرى، ويتمظهر ذلك التسلل المشروع من خلال الحوارات المتبادلة بين الشخصيات المختلفة في رؤاها وأفكارها، وقد يكون من خلال إبراز رؤية المؤلف الفكرية التي قد تتعارض مع رؤية بعض الشخصيات قصد إدانتها وفضح أفكارها. إنّ التعددية قائمة في أي نص، فليس هناك نص صاف لا يحتمل التعدّدية [60]. ورؤيا العالم هي أكثر شمولية ووظيفية من الإيديولوجيا، وبالتالي أكثر تعمّقا في فهم بنية النّص الكلّية وإشكالياته الفكرية.

4. خاتمة:

من كلّ ما سبق نخلص إلى النتائج الآتية:

– إنّ رؤيا العالم السّائدة في النص هي الرؤيا الإنسانية – الحضارية، وهي رؤيا شاملة ذات وظيفة بنيوية فاعلة، وهي تجانب الإيديولوجيا الضّيقة التي لا تعبّر بالضرورة عن مقصود النص الروائي.

– تترفّع الثّلاثية عن المواقف الإيديولوجية المنحازة لرأي معيّن، وتبتعد عن الرّؤيا الأحادية، لتفسح المجال لتعدّد الرؤى وتناقضها، كما تجانب المشاعر العرقية والطائفية التي تسعى إلى تعميق الصّراع بين المجتمعات الإنسانية.

– يتجاوز ياسمينة خضرا أسطورة التّناقض المطلق بين الشرق والغرب، ويدعو من خلال رواياته الثلاث إلى إقامة علاقات إنسانية ترتكز على أسس المحبّة والتعاون والحوار الحضاري، كما يحث على التّفاعل المثمر بين البشر، شرقيين وغربيين، لأنّ القيم الأصيلة لا يمكن أن تتحقّق في هذا العالم إلا من خلال هذا التّفاعل.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 508–526 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

5. الهوامش:

1. *Voir : L.Goldman, Le Dieu caché, Etude sur la vision tragique dans les pensées de pascal et dans le théâtre de racine, 1959, Paris, édition Gallimard, p26*
2. انظر: بيير زيما، النقد الاجتماعي: نحو علم اجتماع للنص الأدبي، تر: عايدة لطفي، 1991، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ص52، 53.
3. انظر: أحمد سالم ولد أباه، البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث (دراسة لفاعلية التهجين)، 2005، دط، الإسكندرية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ص 53.
4. انظر: عبد الله أبو هيف، صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية. في كتاب: الإبداع السردي الجزائري، 2007، دط، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ص368.
5. ياسمينة خضرا، الكاتب، تر: إنعام بيوض، 2007، دط، الجزائر، منشورات البرزخ.
6. ياسمينة خضرا، الكاتب، المصدر نفسه، ص135.
7. المرجع نفسه، ص149.
8. المرجع نفسه، الإهداء.
9. انظر: المرجع نفسه، ص150.
10. انظر: المرجع نفسه، ص199.
11. راتب سكر (2005)، صورة الفرنسيين في روايات حنّا مينه، في كتاب: ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، ج2، أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر– المؤتمر العلمي لكلية الآداب والفنون، 25–28 نيسان(إبريل) 2005، ص219.
12. طه وادي، الرواية السياسية، 2003، ط1، القاهرة، دار نوبار للطباعة، ص12.
13. *Yasmina Khadra, L'attentat, éd Julliard, Paris,2005, p163.*
14. *Ibid, p69.*
15. انظر: يمنى العيد، الكتابة: تحوّل في التحوّل، 1993، ط1، بيروت، دار الآداب، ص19.
16. *Yasmina Khadra, Les Sirènes de Bagdad, éd Julliard, Paris,2006, p80.*
17. *Ibid, pp.194,195.*
18. انظر: يمنى العيد، الكتابة: تحوّل في التحوّل، ص18،19.
19. Les Sirènes de Bagdad, p288.
20. Ibid, pp.286,287.
21. Ibid, pp.285,286.
22. Ibid, p288.
23. انظر: محمد جمال باروت(2000)، الثقافات والحوارات بين الحوار والصراع، مجلة الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ع3–4، ص03.
24. جورج طرابيشي، صورة "الأخرى" في الرواية العربية: من نقد الآخر إلى نقد الذات في "أصوات" سليمان فيّاض، في كتاب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، تحرير الطاهر لبيب، 2008، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص810.
25. Yasmina Khadra, Les Hirondelles de Kaboul, éd Sédia, Alger, 2007, p83.
26. Ibid, p84.
27. Ibid, p84.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

28. عبد الوهاب شعلان (2007–2008)، الاتجاه السوسيو نصي في النقد المعاصر: مقاربة نظرية ودراسة تطبيقية في "حديث عيسى بن هشام"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص النقد الأدبي الحديث والمعاصر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص199.
29. Les Hirondelles de Kaboul, p39.
30. Ibid, p71.
31. انظر: رزان جدعان، ثقافة المقاومة وجدلية التّضاد في التواصل بين الثقافات.في كتاب: ثقافة المقاومة، ج1، ص305.
32. علي أحمد نافز أيوب، مقاومة العولمة، في كتاب: ثقافة المقاومة، ج1، ص299.
33. نبيل سليمان، الثقافة بين السلام والظلام، 1996، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ص125.
34. المرجع نفسه، ص125.
35. Voir : L'attentat, p149, 155, 156,157,158,159,211
36. Les Sirènes de Bagdad, p13.
37. Ibid, pp.288,289.
38. Ibid, p264.
39. Voir : Nadia Sebkhi, L'ivrescQ reçoit Yasmina khadra, L'ivrescQ, Premier Magazine Littéraire, n°4, Jan /Fev2010, Alger, p38.
40. Les Sirènes de Bagdad, p17.
41. L'attentat, p13.
42. Ibid, p85.
43. Les Sirènes de Bagdad, p16.
44. Ibid, pp.17,18.
45. انظر: دلال البزري، الآخر: المفارقة الضرورية، في كتاب:صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص105.
46. جورج طرابيشي، صورة "الأخرى" في الرواية العربية: من نقد الآخر إلى نقد الذات في "أصوات" سليمان فياض، في كتاب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص810.
47. انظر: رزان جدعان، ثقافة المقاومة وجدلية التضاد في التواصل بين الثقافات، ص303،304.
48. انظر: المرجع نفسه، ص306 وما بعدها.
49. Les Sirènes de Bagdad, p292.
50. رزان جدعان، ثقافة المقاومة وجدلية التّضاد في التواصل بين الثقافات، في كتاب: ثقافة المقاومة، ج1، ص 310.
51. انظر: المرجع السّابق، ص310،311.
52. Les Sirènes de Bagdad, p287.
53. Ibid, p289.
54. Ibid, p18.
55. Ibid, p188.
56. Ibid, p277.
57. Ibid, p277.
58. Les Hirondelles de Kaboul, pp.92,93.
59. إدوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، تر: علاء الدين أبو زينة، دت، دط، بيروت، دار الآداب، ص108.

انظر: عبد الله إبراهيم، المتخيّل السّردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدّلالة)، 1990، ط1، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص134.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

6. قائمة المصادر والمراجع:

6 .1. قائمة المراجع باللغة العربية:

1. أحمد سالم ولد أباه، (2005)، البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث (دراسة لفاعلية التهجين)، دط، الإسكندرية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
2. إدوارد سعيد، (د.ت)، الثقافة والمقاومة، تر: علاء الدين أبو زينة، دط، بيروت، دار الآداب.
3. بيير زيما، (1991)، النقد الاجتماعي: نحو علم اجتماع للنص الأدبي، تر: عايدة لطفي، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
4. عبد الله أبو هيف، (2007)، صورة الآخر والحوار بين الحضارات في الرواية العربية. في كتاب: الإبداع السردي الجزائري، دط، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية.
5. عبد الله إبراهيم، (1990)، المتخيّل السّردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدّلالة)، ط1، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
6. طه وادي، (2003)،الرواية السياسية، ط1، القاهرة، دار نوبار للطباعة.
7. مجموعة من المؤلفين،(2008)، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، تحرير الطاهر لبيب، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
8. نبيل سليمان،(1996)، الثقافة بين السلام والظلام، ط1، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع.
9. ياسمينة خضرا،(2007)، الكاتب، تر: إنعام بيوض، دط، الجزائر، منشورات البرزخ.
10. يمنى العيد، (1993)،الكتابة: تحوّل في التحوّل، ط1، بيروت، دار الآداب.

6. 2. قائمة المجلات والرسائل الجامعية:

1. عبد الوهاب شعلان (2008-2007)، الاتجاه السوسيو نصي في النقد المعاصر: مقاربة نظرية ودراسة تطبيقية في "حديث عيسى بن هشام"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص النقد الأدبي الحديث والمعاصر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
2. محمد جمال باروت(2000)، الثقافات والحوارات بين الحوار والصراع، مجلة الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، ع3- 4.
3. ثقافة المقاومة، ج1، أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي العشر-المؤتمر العلمي لكلية الآداب والفنون، 25-28نيسان(إبريل)، 2005.
4. كتاب: ثقافة المقاومة في الآداب والفنون، ج2، أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر- المؤتمر العلمي لكلية الآداب والفنون، 25-28 نيسان(إبريل) 2005.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 508–526	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

3.6. قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. *L.Goldman, (1959) ;Le Dieu caché, Etude sur la vision tragique dans les pensées de pascal et dans le théâtre de racine, Paris, édition Gallimard .*
2. *Yasmina Khadra, (2005) ;L'attentat, Paris, éd Julliard.*
3. *Yasmina Khadra, (2007) ;Les Hirondelles de Kaboul, Alger, éd Sédia.*
4. *Yasmina Khadra, (2006) ;Les Sirènes de Bagdad, Paris, éd Julliard.*

4.6. قائمة المجلات باللغة الأجنبية:

1. *Nadia Sebkhi, L'ivrescQ reçoit Yasmina khadra, L'ivrescQ, Premier Magazine Littéraire, n°4, Jan /Fev2010, Alger.*